العرب
الجمعة 2019/08/02
السنة 42 العدد 11426

موسيقى القرب الأسكتلندية تعزف لحن الرجولة والقوة

شعوب أوروبا وآسيا وأفريقيا تعرف المجوز منذ قديم الزمان

تشترك الشعوب في استعمالها للآلات الموسيقية النفخية باعتبارها من أول الابتكارات الفنية المرافقة للإيقاع، ولعل أهمها "المجوز" أو مزمار القرب الذي اشتهرت به أسكتلندا، على الرغم من أنه كان منتشرا في بلدان أوروبا وآسيا وأفريقيا، وصار رمزا للأسكتلنديين الذين يتفاخرون بالعزف عليه كرمز للرجولة والقوة والمقاومة.

القربة خارج غلاسغو

أنغامها لا تغيب في المراسم

حتى النساء يعزفن القربة

غلاسغو - يرجع صدى الأنغام الرائعة المنبعثة من مزامير القرب في جنبات المبنى، ويبدأ توني ماكليلاند والذي تشي جميع ملامحه وقسمات وجهه بأنه أسكتلندي الهوية قلبا وقالبا، خاصة عندما يقف ببنيته القوية وتنورته ذات الثنيات الطولية وهي اللباس الوطني في أسكتلندا، وهو يتصبب عرقا بعد الجهد الذي بذله في العزف أثناء التمارين، ثم يسوي قبعته الحمراء على رأسه مزهوا.

ولا يزال هذا الرجل الذي يبلغ من العمر 29 عاما والمنحدر من غلاسغو التي تعد الموطن الروحي لموسيقى القرب، يرى أن العزف على مزمار القرب يعد عملا باهرا ينمّ عن القوة، حتى على الرغم من أنه يمارس العزف على هذه الآلة الموسيقية منذ أن كان طفلا.

ويقول ماكليلاند، "مرّت علي نحو سبع سنوات قبل أن أجيد العزف على هذه الآلة"، ويدرس الرجل علم الآثار ويعمل لبعض الوقت في "مركز غلاسغو الوطني لموسيقى القرب"، الذي يمارس مهمة تعليم الراغبين في العزف على مزامير القرب، كما يستضيف متحفا صغيرا يعرض تاريخ هذه الآلة الموسيقية.

ويضيف، "إنك لا تستطيع أن تبدأ العزف في سن مبكرة، فلن تكون لديك في هذا العمر القوة اللازمة للنفخ".

غير أن العزف على آلة موسيقى القرب لا تقتصر على كبار السن، يقول ماكليلاند، إن "جميع الأجيال تحب العزف عليها"، وكثيرا ما يتم العزف على هذه المزامير في المناسبات الاحتفالية.

ويضيف ضاحكا، "ويقبل الأشخاص على تناول الكثير من الكحول خلال هذه المناسبات".

وتعد آلات موسيقى القرب جزءا لا يتجزأ من "ألعاب المرتفعات"، وهي مسابقة رياضية تقليدية سنوية تنظم خلال فصلي الربيع والصيف من كل عام في أسكتلندا، ومن بينها رياضات تقليدية تبرز القوة البدنية مثل شدّ الحبل ورمي المطارق والجلة والأعمدة الخشبية.

وعلى الرغم من أن موسيقى القرب ترتبط بقوة بأسكتلندا، فإن آلات القرب الموسيقية لم تكن في بداية ظهورها أسكتلندية.

ويحكي تاريخ هذه الآلات سردا أكثر ارتباطا بالعالمية، ويوضح المؤرخ الألماني وخبير موسيقى القرب رالف جهلر، أن "موسيقى القرب كانت تعزف في جميع أنحاء القارة الأوروبية، وتمّ العثور على 200 نوع من هذه الآلات حتى في آسيا الوسطى وشمال أفريقيا".

وثمة نوعية أصغر حجما من نفس عائلة مزمار القرب، تسمى "موزيت دي كور"، وتعني مزمار البلاط الفرنسي، وقد شقّ طريقه إلى القصور الملكية الفرنسية، حيث كانت طبقة النبلاء تطرب على ألحانه، ويقول جهلر "ربما جاءت مزامير القرب أصلا من منطقة شرقي البحر المتوسط".

وتنتشر إلى اليوم في العديد من الدول العربية آلة "المجوز" التي تشبه في شكلها مزمار القرب الأسكتلندي، وتحضر هذه الآلة النفخية في الأعراس والأفراح.

وتراجعت إلى حد كبير مكانة آلات موسيقى القرب بمنطقة وسط أوروبا في القرن التاسع عشر، وكان رعاة الأغنام وحدهم من يستخدمونها أساسا كوسيلة للتحكم في تحركات قطعانهم وفي نفس الوقت إبعاد الذئاب عنها.

وفي ألمانيا اقتصرت الاستخدامات الاجتماعية لموسيقى القرب خلال العقود الأخيرة إلى حد كبير، على الفعاليات والمهرجانات ذات الطابع المنتمي إلى العصور الوسطى.

ويرى جهلر، أن هذا الاتجاه الذي كان سائدا في ألمانيا بدأ في التغير، وهو أمر أشعّ في نفسه سرورا بالغا، مضيفا، إن "عزف موسيقى القرب في ألمانيا ودول أوروبية أخرى صار يلقى المزيد من الشعبية".

ويعرب جهلر عن وجهة نظره إزاء أداء آلة القرب قائلا إن صوت آلة القرب الغليظ والقوي يعد مثاليا للتعبير عن الذكورة أو عنفوان الشباب، مضيفا، "إنه يمثل شكلا معينا من أشكال المقاومة".

ويصدر حكما يقول، "إن العزف على آلة القرب يعد شكلا ثقافيا من أشكال التمرد الشبابي".

ومع ذلك ففي بعض مناطق أوروبا لم تختف أبدا موسيقى القرب، وعلى سبيل المثال نجد أنه في مجال الموسيقى الشعبية بالمناطق الصربية، كانت لموسيقى القرب أدوار على الدوام، بينما يحب سكان جنوب إيطاليا آلة الـ"زامبوغنا"، وهي عبارة عن أنابيب نفخ مزدوجة، وتعد أكبر نسبيا من زميلاتها الأسكتلندية، وأيضا يحب البولنديون آلة الـ"كوزا" والتي تبدو إلى حد ما على شكل جسد ماعز هزيل.

ويعرب توماس زولر مؤسس أكاديمية موسيقى القرب في ألمانيا عن وجهة نظره القائلة بأن "موسيقى القرب تعد دائما مرآة تعكس الجوانب الثقافية للمجتمع، فإن لها خاصية محلية تميز مجتمعا عن آخر في الصوت والمظهر".

ودرس زولر الموسيقى الأسكتلندية، وتخصص في موسيقى القرب بمعهد الكونسرفتوار الملكي الأسكتلندي بغلاسغو، ويصف نفسه بفخر بأنه "أول ألماني وأول شخص من القارة الأوربية بخلاف بريطانيا" يتخصص في هذا المجال.

غير أن العزف على آلة القرب يمكن أن تكون له أيضا آثار جانبية غير مرغوب فيها. وعلى سبيل المثال، فإن الإفراط في تناول الكحوليات إلى حد الثمالة، وهي عادة مرتبطة بحفلات موسيقى القرب تتسبب في انهيار الكثير من الزيجات، وذلك وفقا لما ذكرته مجلة "بايبر آند درامر" أي عازف المزمار والطبال، كما أن بعض آلات القرب مثل تلك الموجودة في المرتفعات يمكن أن تكون أصواتها عالية الارتفاع مما يثير مشاعر الضيق، واستخدمت هذه الآلات في الماضي كسلاح في ميادين القتال.

بالإضافة إلى ذلك، وكما يحذر ماكليلاند، فإن استخدام طرق التنفس أثناء العزف بشكل خاطئ يمكن أن يتسبب في حدوث أضرار لعضلات الرقبة والشرايين. في هذا الصدد يقول ماكليلاند، "يمكن أن ينتهي بك الحال إلى أن تصبح رقبتك مثل رقبة الضفدعة".

> رعاة الأغنام كانوا يستخدمون مزمار القربة كوسيلة للتحكم في قطعانهم وفي نفس الوقت إبعاد الذئاب عنها

غير أن زولر لا يبدو مقتنعا بهذه القول، ويقول "إن الأمر برمته يتعلق بالتقنية".

ومع ذلك هناك دليل على حدوث حالات وفاة بسبب نمو الفطريات والبكتيريا داخل الآلة، وبالتالي فمن الضروري تنظيفها بشكل منتظم.

إثيوبيا تخضرّ بأربعة مليارات شجرة

أديس أبابا - تنوي إثيوبيا غرس أربعة مليارات شجرة بحلول أكتوبر المقبل في إطار حملة إعادة تشجير لمكافحة الاحترار المناخي وحماية الموارد الطبيعية.

وتأتي هذه الحملة التشجيرية التي أطلق عليها "البصمة الخضراء" ضمن مبادرة أطلقها رئيس الوزراء الإثيوبي، آبي أحمد، في 26 مايو الماضي لزراعة 4 مليارات شتلة خلال موسم الأمطار الحالي.

ويحرص رئيس الوزراء الإثيوبي آبي أحمد على أن يكون قدوة في هذا المجال، حيث شارك شخصيا في حملة إعادة التشجير هذه، بمسعى منه إلى إقناع مواطنيه بالالتحاق بركب هذه المبادرة، وقد أعفى الموظفون الحكوميون الاثنين من العمل للمساهمة في زرع الشجر.

وتقول الحكومة إنه تمّ زرع 350 مليون شجرة في البلد في ذاك اليوم، وفي حال تمّ التأكّد من هذا المجموع، فهو يشكّل رقما قياسيا على مستوى العالم.

وبهذا تكون إثيوبيا تفوّقت على الهند التي سجّلت رقما قياسيا في يوليو 2017 بزراعة 66 مليون شجرة خلال 12 ساعة في ولاية ماديا براديش.

ومنذ مايو الماضي، زرعت حوالي ثلاثة مليارات شجرة، بحسب السلطات الإثيوبية. وقالت بيلين سيوم الناطقة باسم رئيس الوزراء، "أظهرنا قدرتنا على حشد قوانا لبلورة رؤية مشتركة". وقد أثار المجموع المقدّر بـ350 مليونا للأشجار المزروعة في يوم واحد بعض الشكوك.

وقال زلالم ووركاغينيهو الناطق باسم ائتلاف المعارضة، "لا أعتقد شخصيا أنه تسنّى زرع هذا العدد من الأشجار"، لكنه نوّه بمشاركة المئات من أعضاء الائتلاف في هذا النشاط.

وأوضح، "انتهزنا الفرصة لنتضامن مع مواطنينا. ونحن حريصون على إرثنا البيئي ونصبو إلى أن تصبح إثيوبيا بلدا محافظا على البيئة".

كانت الغابات تغطّي حوالي 40 بالمئة من مساحة البلاد قبل نصف قرن، في مقابل 15 بالمئة تقريبا اليوم، بحسب أبيوت برهانو مدير معهد الأبحاث الإثيوبي حول البيئة والغابات.

وأقرّ ووركاغينيهو بأن "قطع الأشجار بات مشكلة خطرة جدًا في بعض مناطق البلاد".

وتركّز جهود إعادة التشجير على المناطق التي اندثرت منها الأشجار على مرّ السنين، وهو ما تؤكده بيلين التي أوضحت أن أنواعا مختلفة من الأشجار زرعت في مناطق عدة.

وتفقد إثيوبيا سنويا نحو 92 ألف هكتار من الغطاء النباتي بفعل القطع الجائر والاعتداءات التي تتعرض لها الغابات ما أدى إلى ارتفاع درجات الحرارة في الكثير من المدن التي كانت تتميز باعتدال أجوائها وهطول الأمطار فيها.

وتشير تقارير إلى أنّ نسبة الغطاء النباتي الحالية في إثيوبيا تصل إلى 15 بالمئة، فيما تسعى الحكومة لإيصالها إلى 25 بالمئة خلال السنوات الـ10 المقبلة.

وصرّحت مبينة "كثيرة هي المشاتل التي عكفت عليها الحملة لإنتاج المزيد من الشجيرات خلال الشهرين الأخيرين". كذلك تم استيراد البعض من الشتلات والنبتات من الخارج.

وتؤدّي إعادة التشجير دورا بارزا في الجهود العالمية لاحتواء انبعاثات ثاني أكسيد الكربون، وهي تسمح أيضا بتنقية المياه وإنتاج الأكسجين وزيادة عائدات المزارعين، وهو ما شرحه تيم كريستوفرسن رئيس الشراكة العالمية لترميم الغابات والمساحات بالمناسبة. لكن غراسة الأشجار ليست سوى خطوة أولى، على حدّ قوله.

كما أوضح في تصريحات لوكالة فرانس برس إن "الضغوط التي تتعرض لها المراعي هي العامل الأساسي؛ فإذا زرعتم شجرة في يوم ما وأتى الماعز لاحقا إلى الموقع، فلا شكّ أنه سيقضي على الشجرة وسيبس العشب حولها".

وأردف "لا يكفي زرع الشجر بل ينبغي أيضا أن تنمو هذه الأشجار".

وتندرج حملة إعادة التشجير في إثيوبيا ضمن مشروع بيئي أوسع نطاقا يعرف باسم "غرين ليغاسي إنيشياتف" (مبادرة الإرث البيئي)، والذي يقضي بتنظيف مجاري المياه وجعل الأنماط الزراعية أكثر استدامة.

واعتبرت بيلين من جهتها أن المجهود الذي تجلّى في هذه الحملة أثبت أن رسالة رئيس الوزراء للمحافظة على البيئة تلقى صدى فعليا في البلد. وتابعت قائلة "استوعب الجميع رؤيته على المدى الطويل. وهم يدركون منافع بلد يراعي البيئة".

وفي حال ثبت أن إثيوبيا غرست 350 مليون شجرة خلال الحملة، فهي تكون بذلك قد حطمت الرقم القياسي السابق المسجّل باسم ولاية أوتار براديش الهندية حيث زرعت حوالي 66 مليون شجرة.

لكن لا بدّ من انتظار الاعتراف الرسمي بهذا الرقم القياسي. وقالت الناطقة باسم المجموعة جيسيكا دوز "لن تتقدّم إثيوبيا بأي طلب إلى موسوعة غينيس للأرقام القياسية لتوثيق إنجازها إلّا بعد أن يتأكّد الرقم".

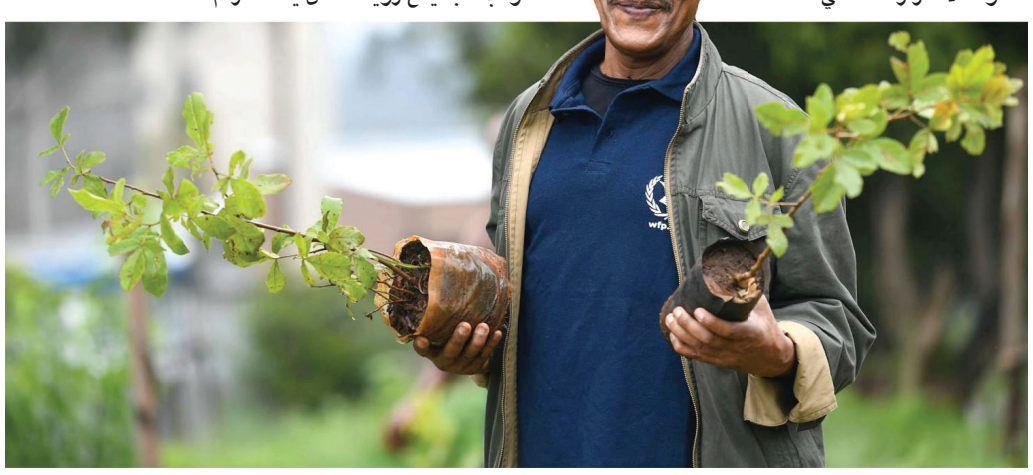

البصمة الخضراء